

الوظائف التداولية والتراكيب اللغوية:

مبادئ و خصائص و مستويات و قوى

أ/عباس حشاني.

جامعة جيجل

الوظيفية منهج في اللسانيات التداولية تسعى للكشف عن وظائف اللغة غير وظيفة التواصل، فالتداولية تتجاوز وظيفة اللغة الأصلية وهي "التواصل"، واللغة بعناصرها: متكلم، متلقي، خطاب، مقام، وقصد... تمثل الميدان الذي تتجسد فيه هذه الوظائف.

فالوظيفية في هذا «تطبيقية تحليلية»، إنها تدرس التراكيب اللغوية على اختلافها، التي تُعرض ضمن لغة معينة ثم تُحدد القصد مع هدف الخطاب بالنظر للفعل الكلامي المتضمن في التركيب و الاستراتيجية التي عمدها إليها المتكلم، ثم تُحلل العلاقات القائمة بين عناصر التركيب في الخطاب تحليلاً نفعياً وظيفياً؛ فنحصل على إجابات الأسئلة الآتية:

1) لماذا استعمل المتكلم هذا التركيب بالذات؟

2) إلى ما يقصد؟ ولما يرمي؟، وما هو هدفه...؟

3) هل أراد أن: يؤثر، يوبخ، يرسخ معتقد أو يُغيّر سلوك...؟

4) لماذا أراد المتكلم تحقيق هذه الوظيفة دون غيرها؟

وقد جاء هذا الاتجاه (الوظيفي) في الدرس اللغوي الحديث نتيجة تقوقع الاتجاهات اللسانية الأخرى حول مبادئها، إضافة إلى حاجة اللغة إلى لسانيات تفوق هذا الحد، فاللغة صرح من الصعب الوقوف عند كل أروقته.

يأخذ التركيب شكله ووظيفته ضمن خطاب تداولي بين متكلم ومستمع، وهذه الوظيفة تنتج جراء عملية الاتصال، لتؤدي مقاصد وأهداف، فهي تمثل النواة والأصل في التلفظ بتركيب لغوي، في حين يمثل التركيب الصورة الصغرى الحاملة لوظيفة ترجى، فالتركيب قد يكون في خطاب أو نص أو جملة. فالوظيفة ضمن تركيب لغوي داخل جملة هي حدّها الأدنى: جملة مبتدأ وخبر أو جملة فعلية... والوظيفة ضمن تركيب لغوي داخل خطاب باعتباره متوالية من الحمل حدّها الأكبر، ويمكن أن تتعدد، فلكل تركيب وظيفة ومقام معين للتخاطب «وكل عبارة لغوية تطابق مقام تخاطب معين يحدد نسبيتها، بما في ذلك ترتيب مكوناتها»⁽¹⁾

وعليه، فكل تركيب لغوي يُساق لمقام، يُحدد وظيفته، بما في ذلك وظائف أخرى ثانوية... إنَّ تحقيق الوظائف التداولية في تراكيبها على مستوى: الجملة، الخطاب، التلفظ يتأني في علاقات عناصر التركيب وعلاقتها بسياق الحال ومجموع الظروف: الاجتماعية فينتج أثر دلالي وظيفي تداولي لكل تركيب، فتحصل الغاية (الوظيفة) الخطابية: التأثيرية، الإقناعية التوجيهية، الحجاجية... وهذا الاختلاف يبرره اختلاف التراكيب مع المقام وحالة المستمع، فالمتكلم يختار حين خطابه تراكيبا تخضع لمبادئ: مبدأ لغوي (تلفظي) (التراكيب)، مبدأ اجتماعي (السياق) ومبدأ وظيفي (المقاصد).

تؤدي الوظائف التداولية على أسس ثلاثة:

- أ- **النظام:** وهو النحو، فلا بد للتركيب أن يصح نحويا لكي يصح دلاليا وتداوليا.
- ب- **الاستعمال:** المتكلم يستعمل ما تداول واتفق عليه العرف فلا يتحدث بالمهجور والغريب.
- ج- **التلفظ:** وهو متعلق بتوزيع عناصر التركيب من طرف المتكلم، حسب المقاصد
- د- **المتوخاة والأهداف المرجوة،** إذ للمتكلم الحرية في اختيار أنماط تراكيبية اللغوية وفق وظائف تداولية

يجعل التراكيب اللغوية ذات صبغة وظيفية تداولية ذلك أن التركيب اللغوي له وظائفه ودلالاته ومقاصده وأهدافه، ومن ذلك تعدد الوظائف إلى: نحوية، دلالية، جمالية، إقناعية،... وكلها تداولية في صميمها.

- 1- **مبادئ الوظيفة:** يقودنا الحديث هنا عن مبادئ التراكيب الوظيفية: أو المنهج الوظيفي
- 1- «لغة وظائف متعددة تعدد الأغراض المستعملة لأجلها، ولكن الوظيفة الأساسية هي وظيفة التواصل»⁽¹⁾، وهذا يعني أن الاتجاه الوظيفي لا يقف عند وظيفة واحدة، بل يبحث في كل وظيفة يمكن أن تؤديها اللغة.
- 2- «ترتبط البنية بالوظيفة ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة»⁽²⁾، وهذا ما يفسر استعمال المتكلم لتركيب أو بنية دون أخرى.

3- موضوع الوصف اللغوي هو القدرة التواصلية للمتكلم والمخاطب والقدرة هذه هي مجموع القواعد البنوية والوظيفية التي تمكن المتكلم والمخاطب من استعمال عبارات لغوية معينة لتأدية أغراض معينة في مواقف تواصلية معينة.

4- يشكل النحو الكلي مجموعة من المبادئ العامة الرابطة بين أنماط من الأغراض وأنماط من التراكيب اللغوية.

5- تتفاضل الأنحاء طبقا لاستجابتها لمبدأ الوظيفة أي طبقا لقدرتها على رصد الظواهر اللغوية وتفسيرها في إطار الارتباط القائم بين البنية الوظيفية⁽³⁾، ومن مبادئ المنهج الوظيفي العامة كما يراها: أحمد المتوكل:

*أداتية اللغة: اللغة مجموع جمل وتراكيب، تجمع بين مكوناتها علاقات: تداولية، صرفية، تركيبية، دلالية... تؤدي في مجموعها وظائف نفعية.

*وظيفة اللغة الأداة: تحقق اللغة أغراضا متعددة: كالتعبير عن الفكر والأحاسيس والمعتقدات والتأثير في الغير بإقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه... كل هذه الأغراض تتحد في وظيفة التواصل.⁽⁴⁾

*اللغة الاستعمال: ترتبط اللغة باستعمالاتها وهذا الترابط يظهر في «كون نسق الاستعمال يحدد حالات كثيرة قواعد النسق اللغوي المعجمية والدلالية والصرفية، التركيبية الصوتية، وهو ما يعنى به فرع اللسانيات المسمى «اللغويات الاجتماعية»⁽⁵⁾، لا يستعمل «المتكلم نفس النمط من العبارات في مخاطبة أشخاص ذوي أوضاع مجتمعية مختلفة».⁽⁶⁾

*سياق الاستعمال: وعليه أن يترابط السياق بنوعيه المكون الداخلي والخارجي، أو أن يطابق التركيب المختار السياق المستعمل له وهو سياقان: سياق مقالي وسياق مقامي.⁽⁷⁾

*اللغة الاستعمال⁽⁸⁾: مفاده هذا المبدأ أنّ التركيب الوظيفي له عناصر أساسية تشكله وتجسده وهي: "الفحوى القضوي"، "القصد من إنتاج التركيب"، "موقف المتكلم من هذا التركيب اللغوي"، وهذا يعني أن المتكلم حين استعماله لتركيب يراعي فيه الوظيفة وفحواه ثم القصد منه، ثم موقفه من هذا الاستعمال.

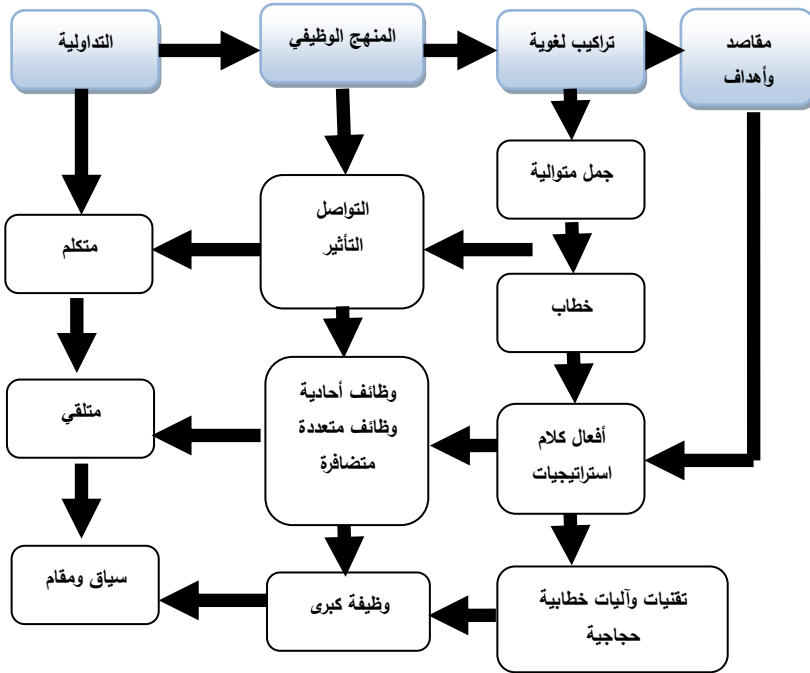
يتضح أنّ التركيب اللّغوي الوظيفي في حقل التداولية... ينتج وظائف مادية تتمايز فيما بينها بتمايز نمطية التراكيب اللّغوية ومنها: الترغيب والترهيب، المدح والذم، الشكر والشكابة تبعاً لنوع المقام والسّياق الخارجي، كما يتميز التركيب اللّغوي الوظيفي (أو الوظائف) بمبدأين:

أولاً: أحادي الوظيفة: ومفاده أنّ إمكانية التركيب تأدية وظيفة واحدة لا غير، وهذا راجع لقصد المتكلم ونيته في المتلقي فقد تكون مثلاً: التأثير دون غيره من الوظائف وتحقيقها مادياً مردود إلى حالة المتلقي.

ثانياً: متعدد الوظيفة: باعتبار أنّ التركيب هو الجملة وتوالي الجمل يشكل خطاباً، فكل تركيب يؤدي وظيفة أو اثنتين تتعالق في تأديتها أو تحقيقها بالتركيب الذي يليه والذي سبق وهذا التكامل والتعالق يُشكل ويجسد الوظائف المتوخاة من الخطاب، كتركيب كلّيّ متشكل من عدة وظائف تداولية، والوظيفية باعتبار وظيفة التركيب: النحوية، الدلالية، التداولية التي تؤسس نظرية وظيفية ونفعية من حيث: الاستعمال اللّغوي في شتى ضرورية إذ «ترمي كل النظريات اللّغوية على اختلاف مشاربها وتوجّهاتها إلى دراسة بنية اللّغة مستويات ومكونات وعلاقات»⁽⁹⁾

إنّ الوظائف التداولية في تراكيب اللّغة العربية يجوز استعمالها متعددة أو أحادية، لتحقيق مقاصد مادية أم معنوية ولها أن تتضافر في كل هذا التحقيق وظيفة كبرى وهي الأصل، كأن تتضافر وظيفة الترغيب والترهيب ثم التأثير فالإقناع في تغيير معتقد (معنوي) أو تغيير سلوك (مادي)، وهذا الأصل النفعي في اللّغة قد بلوره الاتجاه الوظيفي.

يمكن تمثيله بواسطة الشكل الآتي:



تمكنت النظرية الوظيفية من دراسة التركيب اللغوي دراسة معمقة ودقيقة في إطار التداولية، إذ قعدت وقتت كيفية تحليل تركيب لغوي وظيفيا، نحويا، دلاليا، نفعيا... إذن لا يحق لمتكلم أن ينشر تركيبا لغويا (جملة أو خطابا) وهو خال من وظيفة أو غير مُحَمَّل بوظائف وإلا صار تركيبا لغويا لا يقوى على تأدية أبسط وظيفة تواصلية، ولصار ينقص بما لا يُفهم.

يقودنا الحديث إثر ذكر مبادئ الوظيفة إلى خصائصها إذ أنّ «أهم ما يحتد به القائلون بمشروعية الأخذ بالوظيفة فهو: أنّ اللغة تأخذ الخصائص التي تخدم إنجاز التواصل وأهدافه ومختلف أنماطه»⁽¹⁰⁾

2- الوظيفة و الخصائص:

1- مكانة المستوى التداولي والدلالي في الاتجاه الوظيفي داخل التحو مكانة مركزية إذ يتولى تحديد خصائص التركيب.

2- يدخل ضمن التيار الوظيفي كل النظريات اللسانية التي تجعل من مبادئها المنهجية

العامة تفسير الخصائص للغات الطبيعية، وذلك يربط هذه الخصائص بوظيفة اللسان الطبيعي التواصلية.

3- تُعد اللغة وسيلة للتواصل أي نسقا رمزيا يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل.

4- معرفة المتكلم بالقواعد التي تمكنه من تحقيق الأغراض التواصلية بواسطة اللغة ومعرفة السامع بغرض المتكلم برسائله ومنه «لا بدّ من وضع الألفاظ في الجملة وضعاً خصوصياً يظهر به المعنى المراد منها»⁽¹¹⁾

تمكن الاتجاه الوظيفي من فرض نفسه ضمن اللسانيات التداولية إذ أصبح المنهج والاتجاه والنظرية، المعول عليه في تفكيك وتحليل اللغة وكشف مقاصد التراكيب ونية المتكلم من هذا الخطاب ونسج خيوطه: مع التحو والتداولية والبلاغة والدلالة وعلم الأسلوب أما النحو: فمنه معرفة مكونات التركيب اللغوي ومن ثمة تحديد وظائف كل عنصر: الفاعل، والمفعول، المبتدأ، الخبر... وأما التداولية فهي المرتع والأصل ومنها: قدرة ومعرفة المتكلم في استعمال الألفاظ والأساليب أداءً ومعنى، ومقاصده من ذلك، كما يُعنى بالسامع وحالته وكيفية تمكنه من قصد المتكلم والهجوم على محصولة أي المعاني الموجهة إليه.

أما البلاغة: فمنها علم المعاني والبيان والبدیع، ويأخذ منها الاتجاه الوظيفي، الصبغة الجمالية والفتية فالأول يدرس الجملة والتركيب والخطاب والثاني يدرس الصورة والثالث تحسين التركيب ووقعه على الأذن السامعة وقعا حسنا وكل له وظائف.

يبدو من هذا غاية الاتجاه الوظيفي من هذه المبادئ والخصائص هو: كشف كنه العملية التواصلية وترصد كل الوظائف المقصودة في اللغة وفي جميع صورها: الجملة، التركيب، الخطاب، النص، الأسلوب، العبارة... ومن هنا نرى أنّ الاتجاه الوظيفي قد اتسع فتناول أشكال اللغة وعليه تحكمه ثلاث قوى:

1- قوة الإدراك: **the Power of Intellect** تكمن علاقتها بالاتجاه الوظيفي في

أن « الإنسان بما يعرف ويفكر ويُعمل ويستنبط ، وهذه القوة تحتاج في ثقتها والتأثير فيها إلى الحقائق الصحيحة المعقولة المؤيدة بالبراهين الصادقة . »⁽¹²⁾

ومعنى الاتجاه الوظيفي بالنسبة لهذه القوة أنّ يتكلم الإنسان وأنّ يستعمل فكره فتحصل تراكيبه الكلامية على مصداقية من طرف المتلقي لأنها حقائق أو مسلمات، فلا يقع كلامه موقع الشك والريبة في ذهن المتلقي فيطالبه بحجة أو دليل.

2- قوة الانفعال "العاطفة": **The power of femation**: وترتبط هذه القوة

بالاتجاه الوظيفي في معرفة حالة المتلقي فالانفعال يظهر في تراكيب اللغة وبه يعرف نوعية الخطاب وحالة المتلقي ومنها: الغضب، الحزن، الفرح، التعجب... وهي حالات انفعالية ينتج عنها وظائف لغوية وهي قوة بما الإنسان « يشعر ويتخيل. »⁽¹³⁾ والتراكيب التي تنتجها العاطفة صبغتها وظيفية فهي تفضي لفهم حقائق أو التأثير في المتلقي، أو إبراز عاطفة للغير، ومعنى الاتجاه الوظيفية بهذه القوة هو الانفعال مولد لوظائف تداولية كل عاطفة تنتج وظيفة.

3- قوة الإرادة: **The power of will**: وفحوى هذه القوة أن تكون للمتكلم مسبقا

نية و(وظيفة) يجعلها مقصده من خلال الخطاب أو التركيب الذي ينتجه. وهي قوة عملية « يعتمد عليها الإنسان في تنفيذ ما يعتقد ... والكلام الذي يُلائم هذه القوة يجب أن يجمع بين أمرين: الإفهام والتأثير عن طريقي الإدراك والوجدان، وبذلك يدفع الإنسان إلى العمل ويؤثر في سلوكه وأخلاقه . »⁽¹⁴⁾، وفحوى الاتجاه الوظيفي بهذه القوة هو إنتاج وظيفتي: التأثير والإقناع وعليهما يتحقق المقصد والهدف من جراء التلفظ بتركيب لغوي. تبين من هذا أنّ الوظيفية تكون نظرية وإن كانت اتجاه أو مجرد أول مرة، ونراها تتميز بخصائص يمكن إجمالها في مايلي:

* **أولا- كونها تداولية:** بمعنى أن استعمالات تراكيبها وجملها يكون بواسطة نظرية يمكن مصدرها للواقع من إقامة تراكيب مطابقة للواقع: شكلا و تركيبا و وظيفة.

* **ثانيا- كونها تركيبية وظيفية:** وهذه الخاصية مردها على المتكلم ونيته إذ يستعمل تراكيب، وكل تركيب منوط بوظيفة تصادف ذهنا ملتحق في عملية تواصلية إذن "قيمة الوظيفة" المقصودة مرتبطة بمدى مصداقيتها عند المتلقي.

* **ثالثاً- كونها قصدية:** وعلى هذه الخصيصة قامت النظرية الوظيفية ومفادها: لكل تركيب قصد ووظيفة ، وتكون هذه الأخيرة خادمة له، أيّا كان قصد المتكلم، فلا بدّ أن يُحمّله بوظيفة تكون قد نسجت على متلقٍ مخصوص ومقام معلوم فتنبني العملية التواصلية باختبار تركيب بوظيفة وقصد لتحقيق الهدف المنشود، ومن قبيل التراكيب الوظيفية قوله صلى الله عليه وسلم: « من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين فتحت له ثمانية أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء ». (15)

هذا حديث في باب ما يُقال بعد الوضوء، فالمقام هنا مقام توجيه وتعليم، والمتكلم الرسول (ص) والمتلقي معشر المسلمين، فلما كان الرسول (ص) يدعو للصلاة فلا بدّ لها من وضوء فأتى تركيب الحديث: تركيب شرطي باستعمال "مَنْ" ثم تركيب جملة الشرط مفاده الوضوء بطريقة حسنة معطوفة أو متبوعة بتركيب عطفي: باستعمال "ثم" مفاده ترديد الشهادتين والدعاء بالتوبة والطهارة، عقب الوضوء، جواب الشرط جاء نتيجة لمن يقوم بهذا وفي ذلك ترغيب وهذه وظيفة لتركيب جواب الشرط وهو: أبواب ثمانية تفتح في الجنة، له حرية الدخول من الباب الذي يريد، واحتوى هذا الحديث على وظائف متعددة، وعلى عدة تراكيب تضافرت لتأدية قصد الرسول (ص) وحققت الهدف من الخطاب عامة.

3- أنماط الوظائف:

تجمع النظرية الوظيفية بين ثلاثة جوانب: جانب تركيب، وجانب دلالي وآخر تداولي إضافة إلى عوامل وظروف خارجية سياقية، تضافر هذه الجوانب الثلاثة يشكل الوظيفة في اللغة، باعتبار الوظيفة جهاز كاشف لمقاصد المتكلم، والأهداف التخاطبية، وبه يحصل الفهم والإفهام، ذلك أنّ « بنية اللغات الطبيعية ترتبط بوظيفتها ارتباطاً يجعل البنية انعكاساً للوظيفة » (16) تكاد الوظيفة توصف بالملكة في اللغة كما يفترض "سيمون ديك" « أن قدرة مستعمل اللغة الطبيعية تشمل - على الأقل - خمس ملكات دائمة الحضور في عملية التواصل اللغوي وهي: الملكة اللغوية، وملكات يلجأ إليها عند الحاجة وهي الملكات المعرفية والمنطقية والاجتماعية والإدراكية ». (17) نرى في تضافر هذه الملكات ميلاد ملكة جديدة وهي الملكة الوظيفية فهي تمنح للمستعمل قوة في

تراكيبه حتى يبلغ مقاصده تشكل الوظيفة طابعا من طوابع اللغة، فالوظائف التي يوفرها التركيب اللغوي تنقل مقاصد المتكلم في حدث تواصلية.

وعليه فإن طبيعة اللغة الوظيفية وجوانبها الخادمة لها: التركيب، الدلالة، التداولية سيتحول إلى نظريات ومدارس، قد طورت هذا إلى منحى لساني جديد قام على أنقاض من يرون أن اللغة تخلو من وظائف، تُرصد الوظيفة في التراكيب اللغوية بتحديد مكونات ومستويات أما المكونات فهي عديدة نذكر منها:

4- المكونات الوظيفية والمستويات:

أ- المكونات: المكون المفهومي و المكون التّحوي و المكون السّياقي و المكون الصوتي.⁽¹⁸⁾
تُعَدّ هذه المكونات الرئيسة للوظيفية إذ تتفرع هذه المكونات لأخرى فرعية تكون خادمة مجسدة للوظيفة في عملية تواصلية. إذ ينتج عن المكون التّحوي مكون الصياغة والمكون الصرّي التركيبي والمكون الفونولوجي فتتحدد الدلالة، ويتحدد النبر والتنغيم ووظائفهما، كما تكمن وظيفية المكون السّياقي بشقيه المقالي والمقامي في تجميع المعلومات وتصوير الظروف الخارجية وتقديمها للمكونات الأخرى عند الحاجة.

أما المكون المفهومي فهو متعلق بالمتكلم والمعارف التي يملكها: خطابية، حجاجية، تفسيرية، حوارية، حسب الموقف وحسب المتلقي. وهذا المكون يشكل: القاعدة التي يرسى عليها باقي المكونات الأخرى أما المكون الصوتي فإما منطوق بطبيعة مسموعة وإما مكتوب بطبيعة خطية إشارية.⁽¹⁹⁾ وكل من دقق النظر اللساني في هذه المكونات سوف ينتهي لا محالة إلى تكامل بين الفروع الأربع، لتحقيق الوظيفة في تراكيب لغوية ناتجة عن متكلم مدرك وصحيحة نحويا وصرفيا، دلاليا و تداوليا و أنتجت بمقياس من يسمع الواقع - منطوقة كانت أم مكتوبة- تختلف الوظيفة في التراكيب اللغوية من حيث العدد، فتزد واحدة أو سلسلة من الوظائف، كما تكون رئيسية وفرعية، كما تختلف من حيث نوع التركيب فيكون: تركيبا استفهاميا، أو تركيبا حجاجيا أو تركيبا تعجيبيا، أو تركيبا أمريا، إلى غير ذلك من التراكيب اللغوية. كما تقوم الوظيفة في محطات عديدة في التراكيب اللغوية، باعتبار التركيب جملة أو خطابا، فقد تقوم: في كلمة، في فقرة، في نص بأكمله في حالة إعرابية، فهي لا ترصد من مجرد الكلام فحسب بل من مقصد المتكلم وحالة المتلقي والمحيط الخارجي، « وتختلف هذه الوظائف لا من حيث طبيعتها فحسب، بل كذلك من

حيث مجالها ومسطرة إسنادها ودورها في الخطاب ⁽²⁰⁾. كما يمكن أن تكون الوظيفة: الوظيفة العلاقة، الوظيفة الدور. ⁽²¹⁾

وهذا مفاده أن الوظيفة تقيم علاقات بين عناصر العملية التواصلية من التركيب إلى السياق، وأنها تؤدي أدوارا يعتمد لها المتكلمون لتحقيق أغراضهم.

5- الوظائف التداولية: وهي الوظائف المركزية في كل تركيب، وتعدّ هي الأصل من التواصل برمتها حتى الوظائف: الدلالية والتركيبية (التحوية)، تداولية في أصلها.

والوظائف التداولية تُسند إلى كل مكونات التركيب أو إلى أحد مكوناته كما تتحكم التداولية في: وظيفة مكون وعلاقته بالأخرى ثم التحام هذه الوظائف تحصل الفائدة إذن فالتداولية أو: تداولية الوظائف:

والوظائف التداولية « إسنادها يرتبط ارتباطا وثيقا بالسياق في بُعديه المقامي والمقالي خاصة بعلاقة التخابر التي تقوم بين المتخاطبين في موقف تواصلية معين ⁽²²⁾. إذ يحتوي التركيب على:

* **الموضوع:** ويمثل المعلومة المعروفة لدى السامع.

* **المحمول:** يمثل المعلومة الجديدة لدى السامع. ويتضمن هذا الأخير على: « حمل يدل على واقعة ما (عمل، حدث، وضع، حالة) وحدودا تدل على المشاركين في هذه الواقعة ⁽²³⁾. تظهر تداولية الوظيفية إذ الوظيفة التداولية: « علاقة سياقية تقوم بين الحد والمحمول، وبينه وبين الحدود الأخرى ⁽²⁴⁾.»

يتبين من خلال هذا التبادل الكلامي أو نقل الكلام على وجه الإخبار كأن الوظائف التداولية تفضي بالباحث إلى معرفة نوعية المتخاطبين، بقدر ما تفضي إلى مدى تحقيق المقاصد وتبليغها، إذ تنغي الوظائف التداولية للكشف عن أبعاد: مقصدية تبليغية و تواصلية تفاعلية و إفهامية تأثيرية.

الوظائف التداولية عديدة ومختلفة، فكل تركيب يحمل وظيفة بالنظر إلى دلالاته وتركيبه، فأخذت أصنافا، وتسميات وأنواعا كثيرة « أما النحو الوظيفي (ديك 1997)، فيصنف هذه الوظائف صنفين وظائف تداولية خارجية، ووظائف داخلية ⁽²⁵⁾، وهي كالآتي:

أ- وظائف داخلية: وهي ممثلة في وظيفتين: المحور، البؤرة:

1- المحور Topic: ويمثل جوهر الخطاب والتركيب، « وهو الذات التي تشكل خطاب ما

وقد تتعدد المحاور في الخطاب الواحد»⁽²⁶⁾، فالموقف التواصلية يحكمه أصل جوهري من أجله أنشئ هذا التواصل، والمحور يمثل هذا الجوهر: سبب إنتاج تركيب ومن أنتجه ولماذا؟ والمحور وظيفة تسند «إلى المكون الدال على ما يشكل "المحدث عنه" داخل الحمل»⁽²⁷⁾ Predication، ويتضمن أنواعا شتى من المحاور أهمها: «المحور الجديد، المحور المعطى، المحور العائد، المحور الفرعي»⁽²⁸⁾.

كما تسند وظيفة المحور « إلى أحد موضوعات البنية الحملية، الحامل لوظيفة دلالية (منفذ، متقبل، مستقبل، مستفيد، زمان، مكان...) والمسندة إليه أحيانا إحدى الوظائف التركيبيتين (الفاعل، المفعول)»⁽²⁹⁾، مثل: إسناد وظيفة المحور إلى الفاعل الذي يحمل: - وظيفة تركيبية "فاعل"، ووظيفة دلالية "منفذ"، ووظيفة تداولية: مقام وقوع الفعل.

2- البؤرة Focus: ويمثل هذه الوظيفة المراد والقصد من التركيب لأنها « تسند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة»⁽³⁰⁾. لا يخلو تركيب لغوي من احتوائه لعنصر أو مكون يقوم عليه التواصل ويجري إليه القصد، وتنقسم إلى عدة أقسام نذكر منها: بؤرة الجديد، بؤرة المقابلة، وهذا التقسيم وقع تحت مجال طبيعة وظيفة البؤرة.

أ- بؤرة الجديد: وظيفة تسند « إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب »⁽³¹⁾، المعلومة التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب، ومنها يتحدد المقام وحالة المتلقي، فالمقام، مقام إخبار على ابتداء والمتلقي: مستقبل لخبر جديد عليه.

ب- بؤرة المقابلة: « وتسند هذه الوظيفة إلى المكون الحامل للمعلومة التي يشك المخاطب في ورودها أو المعلومة التي ينكر المخاطب ورودها »⁽³²⁾، فيتغير التركيب لأن المقام تغير والمتلقي في حالة غير الأولى قد تصبح بؤرة المقابلة الحجة الكامنة في التركيب كونها تزيل الشك والتردد من ذهن المتلقي، فالمقام مقام إخبار لا على التصديق والمتلقي يشك ومتردد في تقبل التركيب الخطابي، أما إن كان المتلقي منكر، فترصد البؤرة في كل مكون يحمل دليلا أو حجة داخل التراكيب، لأن المقام مقام حجاج والمتلقي معاند منكر، فتكون البؤرة متجسدة في الحجة التي تغلب المتلقي وتقنعه تروم الوظائف التداولية الداخلية منها خاصة في التفاعل التواصلية، الوقوف عند العناصر التي تتحكم في الهدف الخطابي والقصد منه، فهي وظائف تنطلق من التركيب

المستعمل وعلاقته بالسياق (المقالي، المقامي) وتتم بدلالات المكونات التركيبية ووظائفها، وصولاً إلى قصد المتكلم وتمكين السامع منه، فيتجسد التواصل.

ب- وظائف خارجية: وتتمثل في ثلاثة وظائف هي: المبتدأ، الذيل، المنادى، وهي وظائف تسند إلى وظائف خارج التركيب أو تسند إلى « مكونات تتموقع خارج الجملة ».⁽³³⁾

1- المبتدأ Them: يحيل إلى حدود المجال الخطابي، كما أنه يعين على كشف موضوع الخطاب « ويمكن أن ينفرد بقوة إنجازية تخصه مباينة للقوة الإنجازية المواكبة للجملة »⁽³⁴⁾، وبهذا يُعدّ "المبتدأ" بمثابة الشرط في صحة التركيب تداولياً، مجالاً وموضوعاً، مقاماً وخطاباً. تكمن وظيفته في تحديد « مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه وارداً ».⁽³⁵⁾ ويعقد المبتدأ علاقات -رغم كونه خارج التركيب- مع الوظائف الداخلية: (المحور، البؤرة) إذ يشترك معهم « في الخاصية التي تميزها عن كل من الأدوار الدلالية والوظائف وهي أنها مرتبطة بالمقام، أي أن تحديدها لا يمكن أن يتم إلا انطلاقاً من الوضع التخابري القائم بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة ».⁽³⁶⁾

إنّ تحديد مجال التخاطب وكشف الموضوع، في وضع تواصل، من مقومات نجاح عملية التخاطب وأن يتقاسم المتكلم والمخاطب معرفة مجال التخاطب كما تكمن وظيفته في أنه يمثل الجملة التي تليه إذ يجعلها صالحة لأنها تُحمّل عليه.⁽³⁷⁾ بواسطة ضمير، ويحتل في موقعه الصدارة كما يعتمد على معايير تداولية: مجال الخطاب، موضوع الخطاب، "إحالة المبتدأ"، وهذا الأخير يعتمد على قدرة المخاطب في فهم ما تحيل إليه العبارة، « فنفس العبارة تكون كافية إحصالياً في وضع تخابري وتكون غير كافية إحصالياً في وضع تخابري آخر »⁽³⁸⁾ إذ يشكل "المبتدأ" وظيفة تداولية تعد هي البؤرة في التركيب اللغوي التداولي.

2- الذيل Tail: يختلف الذيل عن المبتدأ في موقعه، فالمبتدأ مزحلق إلى اليمين، والذيل مزحلق إلى اليسار، وهو بهذا عند النحاة العرب يقوم بوظيفة تركيبية: وظيفة المبتدأ المؤخر، وهو « المكون الملحق بالجملة، ويكمن دوره في تصحيح أو توضيح معلومة من المعلومات الواردة داخل الجملة »⁽³⁹⁾، وتحدد الوظائف التداولية العلاقات القائمة بين مكونات الجملة بالنظر إلى الوضع التخابري بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة فوظيفة "الذيل" مثلاً تسند إلى المكون الحامل للمعلومات التي يجهلها المخاطب أو ينكرها أو يشك في صحتها: توضيحاً وتصحيحاً،

بحسب قصد المتكلم، وهدفه الخطابي، فهو يحمل « المعلومة التي توضح معلومة داخل الحمل أو تُعدّ لها أو تصححها »⁽⁴⁰⁾، يظهر من هذا أن "للذيل" ثلاث وظائف: توضيحية، تعديلية، تصحيحية، وهي تمثل أنواعه: "ذيل التوضيح"، "ذيل التعديل" و"ذيل التصحيح"، وتظهر في تراكيب متميزة، وأنها تطابق عمليات إنتاج⁽⁴¹⁾ خطاب مختلفة حسب نوعه، « ويأخذ الذيل حالته الإعرابية بمقتضى الوظيفة الدلالية أو التركيبية التي يرثها عن المكون المعدل أو المصحح »⁽⁴²⁾ كما أنه يأخذ حسب « التحو الوظيفي حالته الإعرابية بمقتضى وظيفته الدلالية أو وظيفته التداولية، وتتفاعل الأنواع الثلاثة في الوظائف في تحديد الحالات الإعرابية »⁽⁴³⁾

وهو متغير، ومتنوع لاستكمال وظيفته التداولية بمراعاة الدلالة وتركيبه النحوي، ولأن المخاطب يختلف، فالتركيب الخطابي « يجمع بين متلقين ذوي عقليات متفاوتة، منهم البطيء الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القرحة والجيد الخاطر، وذلك يستدعي استكمال الدلالة وتماثلها »⁽⁴⁴⁾.

3- المنادى: وتكمن وظيفته في: « استرعاء انتباه المخاطب »⁽⁴⁵⁾، وهي وظيفة اقترحها المتوكل وأضافها لتصبح الوظائف التداولية خمسة وتسند وظيفة المنادى « إلى المكون الدال على الكائن المنادى في مقام »⁽⁴⁶⁾ بمراعاة التركيب اللغوي للنداء فهو: « فعل لغوي شأنه شأن الأفعال اللغوية الأخرى: كالإخبار، والاستفهام والأمر والوعد والوعيد »⁽⁴⁷⁾، ويجمع "المتوكل" في وظيفته المنادى بين ما يسميه النحاة العرب: "المندوب والمستغاث" ... ويصطلح على تسميتها بـ: "منادى النداء" و"منادى الندة"، و"منادى الاستغاثة"⁽⁴⁸⁾. والمنادى وظيفة تداولية بامتياز إذ تسترعي انتباه المتلقي، ويشترط في إسناد هذه الوظيفة، أن يكون المكون المنادى هو المدعو المحيل « على كائن حي فالجملة لاحنة لأنها تحرق هذا القيد إذ المكون المنادى يحيل فيها على جماد »⁽⁴⁹⁾ كما يشترط النحاة في استقامة التركيب الندائي أن تسبق بأدوات النداء، لأنّ الدال على الوظيفة الندائية في التركيب هي حروفه وهي ثمان أدوات هي: « يا أي، أ (الهمزة)، أيأ، هيا، وا، آ، آي »⁽⁵⁰⁾. وإذا كانت حروف النداء هي الشرط اللازم لقيام وظيفة المنادى داخل التركيب، فإنه يقوم كل حرف بوظيفة حسب دلالاته النحوية وإلا لما اختلفت، فاختلافها اختلاف في الوظيفة والتركيب، « وتدمج أدوات النداء، طبقا لمبادئ النحو الوظيفي الموجودة في البنية الوظيفية، عن

طريق تطبيق قواعد التعبير التي تنقل البنية الوظيفية للجملة إلى بنية المكونات «⁽⁵¹⁾ وتكمن

وظيفية الأدوات في قواعد إدماجها، إذ يقترح المتوكل قواعد لإدماج أدوات النداء نذكر منها:

1- إذا كان المنادى علما لا يمكن أن يسبق بـ "أيها" بل يسبق بأداة النداء "الصفير" أو أداة

النداء "يا" أو "أيّا" وإن لم يخصص بالألف واللام فإنه لا يسبق إلا بـ: "يا".

2- يسبق المكوّن المنادى بـ "أيها" إذا كان مخصصا بالألف واللام.

3- لا يسبق المكون المنادى بـ "أيّتها" إذا كان رأسا لمركب إضافي، فإنه يسبق بأداة النداء الصفير

أو "يا" أو "أ".

4- إذا كان المنادى اسم إشارة، فإنه يسبق بأداة النداء "يا" أو "أ" ويسبق بـ "أيها" في حالة

اختزال اسم الإشارة إلى "ذا".

5- إذا كان المكون المنادى جملة موصولة فإنه يسبق بـ "يا" أو "أ" إذا كان الموصول "من" و إذا

كان الموصول الذي يسبق بـ: "الذي" ولا يرد الموصول "من" مسبوقا بـ: "أيها" ولا "الذي"

مسبقا بـ: "يا".⁽⁵²⁾

كما يتحدد تركيب النداء ووظائفه التداولية مع تراكيب أخرى مثل التركيب الأمري،

التركيب الاستفهامي والتركيب الإخباري فتضافر المكونات المنادى، الاستفهامي والأمري

والإخباري يكون قوة إنجازية للنداء.

يمثل النداء فعل لغوي إنشائي يمنح للتركيب قدرته الإنجازية كما أنه يأخذ حالة إعرابية

وهي النص بمقتضى حالته ووظيفته التداولية ويكون في صدارة الجملة وآخرها، لكن الاستعمال

الأوفر للشكل الأول، باعتبار وظيفة النداء تنبيه الخطاب، فوجب أن يذكر فوجب أن يذكر قبل

الخطاب نفسه ، ومن أمثلة الوظائف التداولية بصفة عامة نذكر في التراكيب اللغوية العربية:

«المبتدأ وظيفته معرفة المخاطب ونوعية التخاطب الخبر ووظيفته الإحالة إلى فائدة السامع، التمييز

تنبيه المخاطب على المراد بالتص على أحد محتملاته، والمنادى وظيفته تكمن في الوظيفة الطلبية

للمخاطب التي يؤديها حرف نائب عن الفعل. وتكمن وظيفة التوليد التداولية في تمكين المعنى في

نفس المخاطب، وإزالة احتمال التأويل «⁽⁵³⁾.

إنّ الوظيفية في اللغة قد اتسعت حتّى صارت واقعا لغويا من الصعب أنّ تضبطه،

وصنفت الوظائف اللغوية بحسب تراكيبها اللغوية فهي وظائف دلالية، تركيبية، تداولية، ومنهم من

يُصنفها بحسب عناصر العملية التواصلية من منظور اللغة الوظيفي إذ تتفاعل فيه جميع المستويات ضمن عملية تخاطبية، ومنه فالمنظور الوظيفي للتركييب اللغوية يظهر في استعمالها ضمن: كلام، وهذا الأخير يُعبر عن القيمة الاتصالية للغة من خلال تفاعلها مع الواقع الذي وجدت فيه.⁽⁵⁴⁾

الهوامش:

1. نادية رمضان التجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، كلية الآداب جامعة حلوان، الطبعة الأولى، 2013، ص: 205.
2. ينظر: نفسه، ص: 205.
3. ينظر: نفسه، ص: 205.
4. ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2006، ص: 19.
5. نفسه، ص: 21.
6. نفسه، ص: 21.
7. نفسه، ص: 22.
8. نفسه، ص: 24، 25.
9. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي، ص: 27.
10. نفسه، ص: 28.
11. ينظر: نفسه، ص: 136، 138.
12. مصطفى الجويني، الفكر البلاغي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ص: 39.
13. نفسه، ص: 39.
14. نفسه، ص: 40.
15. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، الجزء الأول، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2005، ص: 144، 145.
16. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ، الرباط، 1989، ص: 10-11.
17. أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2010، ص: 13.
18. ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 17.
19. ينظر: نفسه، ص: 17-18.

20. أحمد المتوكل، قضايا اللّغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، ص: 105.
21. ينظر: أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2005، ص: 21.
22. عبد الحميد مصطفى السيد، دراسات في اللسانيات العربية - بنية الجملة العربية - التراكيب النحوية والتداولية - علم النحو وعلم المعاني، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2004، ص: 29.
23. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 109.
24. نفسه، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، ص: 195.
25. نفسه، ص: 195.
26. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 110.
27. نفسه، ص: 111.
28. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الرباط، الطبعة الأولى، 1985، ص: 69.
29. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، دار الأمان الرباط، ص: 198.
30. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 71.
31. نفسه، ص: 28.
32. نفسه، ص: 28، 29.
33. نفسه، ص: 29.
34. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي، ص: 96.
35. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 115.
36. نفسه، ص: 116.
37. ينظر: نفسه، ص: 127.
38. نفسه، ص: 119.
39. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي، ص: 96.

40. نفسه، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 147.
41. ينظر: نفسه، ص: 147-148.
42. نفسه، ص: 152.
43. نفسه، ص: 156.
44. أبو هلال العسكري، الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981، ص: 37.
45. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي، ص: 97.
46. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 161.
47. نفسه، ص: 161.
48. ينظر: نفسه، ص: 163.
49. ينظر: نفسه، ص: 164.
50. ابن النازم، شرح الألفية بن مالك، تحقيق عبد الحميد السيد، دار الجليل، بيروت، 1998، ص: 565.
51. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 166.
52. ينظر: نفسه، ص: 168-169.
53. ينظر: عبد الحميد مصطفى السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص: 30.
54. أحمد محمد قدور، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، 1996، ص: 242.